السجود

عناصر الموضوع

مفهوم السجود	٢٥٦
السجود في الاستعمال القرآني	٢٥٧
الألفاظ ذات الصلة	٢٥٨
سجود ما في السموات والأرض لله	٢٦٠
الثناء على الساجدين لله	٢٦٥
بشارة الله للمؤمنين الساجدين	٢٦٧
أصناف الساجدين وطبيعة سجودهم	٢٦٩
ثمرات السجود	٢٨٠
جزاء من رفض السجود لله	٢٨٤

مفهوم السجود

أولًا: المعنى اللغوي:

أصل مادة (س ج د) على تطامن وذل. يقال سجد، إذا تطامن. وكل ما ذل فقد سجد[١].

ومنه سُجودُ الصلاة، وهو وضع الجَبْهة على الأَرْضِ، والاسْمُ السِجْدَةُ بالكسر[٢].

وفلان ساجد المنخر: ذليلٌ خاضعٌ، والساجدة: مؤنث ساجد، والسّجّاد: كثير السجود. والسّجّادة: الطنفسة، والبساط الصغير الذي يصلى عليه، وأثر السجود في الجبهة، والمسجدة: السجادة[٣].

والمسجد: «بيت الصلاة، وأيضًا موضع السجود من بدن الإنسان، والجمع: مساجد»[٤].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

قال الراغب: «السُّجُودُ أصله: التّطامن والتّذلّل، وجعل ذلك عبارة عن التّذلّل لله وعبادته، وهو عامّ في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان:

سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحقّ الثواب، نحو قوله: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم:٦٢]، أي: تذللوا له.

وسجود تسخير، وهو للإنسان، والحيوانات، والنّبات، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥]»[٥].

«ومنه سجود الصلاة: وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا خضوع أعظم منه»[٦].

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ١٣٣.
(٢) الصحاح، الجوهري ٢/ ٤٨٣.
(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٣/ ٢٠٥، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص٣٦٦، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/ ٤١٦.
(٤) المصباح المنير، الفيومي ص ٢٢٠.
(٥) المفردات ص ٣٩٦.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢/ ٣٤٢.

السجود في الاستعمال القرآني

وردت مادة (سجد) في القرآن الكريم (٩٢) مرة[١].

والصيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٨	﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر:٣٠]
الفعل المضارع	١٥	﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران:١١٣]
فعل الأمر	١٢	﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم:٦٢]
المصدر	٤	﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩]
اسم فاعل	٤	﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأعراف:١٢٠]
اسم مكان	٢٨	﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨]

وجاء السجود في القرآن على وجهين[٢]:

الأول: السجود الشرعي، وهو وضع الجبهة على الأرض: ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٢٥].

الثاني: الركوع الشرعي: ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة:٥٨] أي: ادخلوه ركعًا.

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن، عبد الله جلغوم، مركز تفسير ص٦٠٧-٦٠٨.
(٢) انظر: نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ص ٣٤٨.

الألفاظ ذات الصلة

١ العبادة:

العبادة لغةً:

من الفعل عبد يعبد، عبادةً وعبوديةً، والمفعول: معبود، وعبد الله بمعنى وحّده وأطاعه، وانقاد وخضع وذلّ له، والتزم شرائع دينه، وأدّى فرائضه[١].

العبادة اصطلاحًا:

قال المناوي: «العبادة فعل المكلف على خلاف هوى نفسه؛ تعظيمًا لربه، وقيل: هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض، ولذلك اختصّت بالرب، وهي أخص من العبودية التي تعني مطلق التذلل»[٢].

وقال الراغب: «العبودية: إظهار التّذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التّذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى»[٣].

الصلة بين العبادة والسجود:

العبادة أعم من السجود، فالسجود نوع من أنواع العبادات التي شرعها الله تعالى.

٢ الركوع:

الركوع لغة:

يأتي بمعنى الخضوع والافتقار والانحناء[٤].

الركوع اصطلاحًا:

هو الانحناء لذي قدر ومكانة في نفس فاعله؛ تعظيمًا وإجلالًا؛ للدلالة على الخضوع والاستسلام والطاعة تعبدًا.

الصلة بين الركوع والسجود:

إن كلًا من الركوع والسجود يدل على الانحناء[٥]، غير أن السجود يكون بانحناءٍ أشد، ويجوز أن يفعل خارج الصلاة تعبدًا لله، وقد ورد ذكره في القرآن من فعل الكفار لآلهتهم،

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار ٢/ ١٤٤٨.
(٢) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٣٤.
(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣١٨.
(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٨/ ١٣٣، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١/ ٣٧٠.
(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٧١٤، معالم التنزيل، البغوي ١/ ٢٦.

ولم يرد ذكر الركوع بذلك فيه، يقول الله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

وقد ورد ذكر جواز السجود لغير الله في القرآن على سبيل التقدير والاحترام، ولم يرد ذكر الركوع بذلك فيه، يقول تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[يوسف: ١٠٠].

٣ الخشوع:

الخشوع لغة:

خشع في اللغة: خضع وذل وخاف، والخشوع: الخضوع والسكون والتذلل والخوف.

الخشوع اصطلاحًا:

إقبال المرء بقلبه على الله في دعائه وصلاته؛ خوفًا وانقيادًا، مع خضوع الجوارح والأعضاء[(١)].

الصلة بين الخشوع والسجود:

السجود عمل يقوم به المرء ظاهرًا على هيئة مخصوصة، بانحناء القامة والأعضاء ووضع الجبهة والأنف على الأرض، بينما الخشوع يكون محله القلب، ويظهر أثره بهيئة مغايرة على أعضاء الإنسان بسكونها، وعلى الصوت فيخفت، وعلى البصر فيخضع.

(١) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص٢٨٣، الفروق اللغوية، العسكري ص٢٤٨، التعريفات، الجرجاني ص ٩٨.

سجود ما في السموات والأرض لله

وردت (ما) و (من) في أربع آيات من آيات السجود لتخص جميع مخلوقات الله عزّ جلّ في السموات والأرض طوعًا أوكرهًا، وهي: الآية/ ١٥ في سورة الرعد، والآيتان/ ٤٨ و٤٩ في سورة النحل، والآية/ ١٨ في سورة الحج، ولبيان تفسير كلٍ منهما، والفروق بينهما إذا وجدت، نسير ببيانها كالآتي:

أولًا: تفسير مجيء (ما): وقد وردت في (آيتين) بموضعين اثنين متتابعين في سورة النحل:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل:٤٨].

يعني: «يخبر الله عن عظمته وجلاله وكبريائه بأن كل ما له ظلٌ يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، بكرة وعشيًّا فإنه ساجد بظله لله تعالى ، و﴿سُجَّدًا﴾ حال من الظلال، أي: كل شيءٍ له ظله»[(١)].

وقال مجاهد رحمه الله: «إذا زالت الشمس سجد كل شيءٍ لله عزّ وجلّ. وقال: سجود كل شيءٍ فيؤه».

وقال أبو غالب الشيباني: «أمواج البحر صلاته، ونزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم».

وقوله: «﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾، أفرد الله ﴿الْيَمِينِ﴾ للجنس، وجمع في ﴿وَالشَّمَائِلِ﴾؛ لأن لفظ اليمين واحدٌ لكن معناه معنى الجمع، أي: عن يمين ما خلق، ثم رجع إلى معناه في الشمائل بالجمع»[(٢)].

والمعنى: «أولم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئةٌ عن أيمانها وشمائلها عن جانبي كل واحد وشقّيه، منقادة غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ، وهذا استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء».

وفي قوله: «﴿دَاخِرُونَ﴾، جمع بالواو هنا؛ لأن المصدر الدّخور، من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب»[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيرها: «فوالله يخضع ويخشع ويستسلم لأمره ما في السموات والأرض من دابة تدبّ عليها، والملائكة التي في السموات، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة، والذين لا يؤمنون بالآخرة تتفيأ ظلالهم عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم صاغرون.

(١) الكشاف، الزمخشري ص٥٧٤.

(٢) جامع البيان، الطبري ١٤/ ٢٤٣.

(٣) الكشاف، الزمخشري ص٥٧٤.

وقال بعض نحاة البصرة: اجتزيء بذكر الواحد من الدّواب عن ذكر الجميع، بتقدير: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، كما يقال: ما أتاني من رجلٍ. بمعنى: ما أتاني من الرجال.

وقال بعض نحويي الكوفة: إنما قيل: ﴿مِن دَابَّةٍ﴾؛ لأن (ما) وإن كانت قد تكون على مذهب «الذي» - فإنها غير مؤقتة، فإذا أبهمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء، والجزاء يدخل «من» فيما جاء من اسم بعده من النكرة، فيقال: من ضربه من رجل فاضربوه.

ولا تسقط «من» من هذا الموضوع، كراهية أن تكون حالًا لـــ: (من) و (ما) فجعلوه بـــ: «من» ليدلّ على أنه تفسير لـــ: (ما) و(من)؛ لأنهما غير مؤقتتين، فكان دخول «من» فيما بعدهما تفسيرًا لمعناها، وكان دخول «من» أدلّ على ما لم يؤقّت من (من) و (ما)، فلذلك لم تلقيا»[1].

وذكر الإمام الزمخشري رحمه الله في تفسير هذه الآية «عدة أقوال:

- يجوز أن يكون بيانًا لما في السموات وما في الأرض جميعًا، على أن في السموات خلقًا لله يدبون فيها كما يدبّ الأناسيّ في الأرض.
- ويجوز أن يكون بيانًا لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الخلق الذي يقال له الروح.
- ويجوز أن يكون بيانًا لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات الملائكة، وكرر سبحانه وتعالى ذكرهم على معنى: والملائكة خصوصًا من بين الساجدين؛ لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم.
- ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهنّ، وبقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم»[2].

ثانيًا: تفسير مجيء (من): وقد وردت في (آيتين) بموضعين اثنين:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد:١٥].

والمعنى: «أن جميع المخلوقات مما احتوت عليه السموات والأرض كلها خاضعة لربها تسجد له، حتى ظلال هذه المخلوقات تسجد أول النهار وآخره، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]»[3].

«ومن هنا تقع على الملائكة عمومًا وسجودهم طوعًا بلا خلاف، أما أهل الأرض فالمؤمنون منهم داخلون في

(١) جامع البيان، الطبري ١٤/ ٢٤٥.

(٢) الكشاف، الزمخشري ١٤/ ٥٧٤.

(٣) جامع البيان، الطبري ١٣/ ٤٩١و٤٩٢، وانظر تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٧٥.

سجودهم طوعًا، أما سجود الكفرة فهو الكره، وذلك على نحوين من هذا المعنى.

فإن جعلنا السجود هنا الهيئة المعهودة؛ فالمراد من الكفرة من يضمه السيف إلى الإسلام فيسجد كرهًا، وإما نفاقًا، وإما أن الكره أول حاله فتستمر عليه الصفة وإن صح إيمانه بعد.

وإن جعلنا السجود الخضوع والتذلل فيدخل الكفار أجمعون في (من)؛ لأنه ليس من كافر إلا ويلحقه من التذلل والاستكانة بقدرة الله أنواع أكثر من أن تحصى بحسب رزاياه واعتباراته.

وقال النحاس والزجاج رحمهما الله: «إن الكره يكون في عصاة المسلمين وأهل الكسل منهم»[(١)].

ويقول الفيروز آبادي رحمه الله: «السجود ضربان:

١- سجود اختيار (طاعة): وليس ذلك إلا للإنسان[(٢)]، قال تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم: ٦٢].

٢- سجود تسخير (اضطرار): وهو للإنسان والحيوان والنباتات ولكل مخلوق، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

«يذكر الله سبحانه وتعالى: بأن جميع المخلوقات في السماء -من الملائكة-، والأرض -من جنٍّ وإنس وغيرهم-، والشمس والقمر- في السماء-، والجبال والشجر والدّواب في الأرض، وسجود ذلك ظلاله، وكثير من الناس - من يهود ونصارى ومجوس ومشركين-، وهؤلاء يسجد ظلهم أيضًا.

فإذا كانت المخلوقات كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته، دلّ على أنه الربّ المعبود، من عدل عنه إلى سواه فقد ضلّ وخسر. وهذا مذهب حسن موافق لمذهب أهل السنة.

وروي عن أبي العالية الرياحي رحمه الله قوله: «ما في السماء نجمٌ، ولا شمسٌ، ولا قمرٌ، إلا يقع ساجدًا لله حين يغيب، ثم لا

(١) جامع البيان، الطبري ١٣/ ٤٩١.

(٢) حصر الإمام الفيروزآبادي سجود الاختيار على: أنه خاص بالإنسان فيه قصور عن المكلفين من المخلوقات، وقد وضّحها وعمّمها الشيخ السعدي بقوله: «وسجود اختيار يختص بأوليائه وعباده المؤمنين من الملائكة وغيرهم من المخلوقات».
انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٤٢.

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٣/ ١٨٨.

ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه.

وقد أدخلت المخلوقات غير العاقلة من شمس وقمر ونجوم وجبال وشجر ودواب تشبيهًا لأفعال المكلفين بالسجود والانقياد والطاعة لله تعالى.

وقال مجاهد رحمه الله في قول الله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، « إن هؤلاء رغم استحقاقهم للعذاب بكفرهم فإن ظلهم يسجد لله الخالق سبحانه»(١).

وقال ابن كثير رحمه الله: «إنما ذكر الله سبحانه ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾، على التنصيص؛ لأنها عبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها، وأنها مربوبة مسخرة، وأنها خلق فاعلٍ عظيم؛ لذلك قال سبحانه: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصّلت: ٣٧]»(٢).

ثانيًا: الاتفاق والاختلاف بين ورود (من) و(ما) في سياق الآيات:

تأتي كلٌ من: (من) و(ما) للاستفهام، أو الشرط، أواسم الموصول المشترك، أو غير ذلك مما يفهم من سياق الكلام العربي.

وفي هذه الآيات الأربع التي وردت فيها «من» و«ما»؛ فهي من أسماء الموصول المشتركة، يظهر معناهما جليًا إذا كان في الجملة صلة الموصول.

وقد تتنوع دلالات اسم الموصول حسب السياق والسباق الوارد في الآية، ومنها: تعظيم الموصوف به بما يدل على أمرٍ عظيم ؛ إذ فيها تعظيم للخالق بالخضوع والسجود له من جميع مخلوقاته، المنتشرة في كل ملكه السماوي والأرضي، وهذا تعظيم لله وعبادة وخضوع للمولى سبحانه تعالى.

والأصل في المعنى اللغوي بين (من) و(ما):أن (من) يؤتى بها في جملة الصلة للدلالة على العاقل، أما (ما) فيؤتى بها للدلالة على غير العاقل، وقد تغلّب إحداهما على الأخرى لوجود قرينة، أو تحلّ إحداهما محل الأخرى بوجود إشارة واضحة(٣).

وبإمعان النظر في آيات السجود الأربعة التي وردت فيها (من) و(ما) نجد ما يلي:

أولًا: أنه لا فرق بين مجيء (من) و(ما)، إذ كلٌ منهما تأخذ نفس المعنى.

يفهم هذا من كلام الإمام ابن كثير رحمه الله إذ يقول: « بعد أن فسّر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]-، «هذه كقوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا

(١) جامع البيان، الطبري ١٦/ ٤٨٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٢٥٦. وانظر: بصائر ذوي التمييز ٣/ ١٨٩.
(٣) انظر البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكه ١/ ٤٢٨، البلاغة العربية، فضل عباس ص٣٠٧.

لِلَّهِ﴾[النحل: ٤٨] أي: (من) الواردة في سورة الرعد مثل (ما) الواردة في سورة النحل»[(١)].

ويقول الإمام ابن عطية رحمه الله: في تفسير الآية: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[النحل: ٤٩].

«وقعت (ما) في هذه الآية لما يعقل، ثم نقل كلام الزّجّاج ، فظاهر كلامه أنها حلّت محلها في المعنى»[(٢)].

وبهذا المعنى أولّ ابن عباس رضي الله عنهما قول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[ص: ٢٤].

فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي: «قليل من يتقي، و (ما) على هذا القول بمعنى (من)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾[الليل:٣] بمعنى: من خلق الذكر والأنثى»[(٣)].

ثانيًا: تغليب الكلام للعاقل على غير العاقل؛ لأن السجود مما يختص به العقلاء.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: في قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[الرعد: ١٥] ، وبين قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾[النحل: ٤٩].

«فنزّل هنا مخلوقات السموات والأرض منزلة من يعقل إذا أسند السجود إليهم وهو من فعل العقلاء»[(٤)].

كما نجد ذلك واضحًا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾[الحج: ١٨].

«وقد أدخلت المخلوقات غير العاقلة من شمس وقمر ونجوم وجبال وشجر ودواب تشبيهًا لأفعال المكلفين بالسجود والانقياد والطاعة لله تعالى»[(٥)].

ويورد الإمام الزمخشري في تفسير الآية/ ٤٩ من سورة النحل تساؤلًا ويجيب عنه بقوله: «فإن قلت: فهلا جيء بمن تغليبًا للعقلاء من الدواب على غيرهم؟ قلت: لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب، فكان متناولًا للعقلاء خاصةً، فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة للعموم»[(٦)].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٦٠٤.
(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/ ٣٦٦.
(٣) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٦٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٦٨١.
(٥) جامع البيان، الطبري ١٤/ ٢٤٥.
(٦) الكشاف، الزمخشري ص٥٧٤.

الثناء على الساجدين لله

لقد أثنى الله عزّ وجلّ على عباده الطائعين الساجدين له في مواضع من كتابه.

ونرى في هذا الثناء منه سبحانه تشجيعًا وحثًّا على الاقتداء بهم، واغتنام هذه الأزمنة ليلحق المرء مع ركب الساجدين.

وإذا استعرضنا آيات السجود نجد أن هذا الثناء اتصل بأزمنة محددة، نبينها في النقاط الآتية:

أولًا: الثناء على الساجدين لله في الليل:

وقد وردت في أربع آيات هي:

قال تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣].

ففي شرح هذه الآية يرجح الإمام الطبري رحمه الله قول من قال: «عني بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء؛ لأنها صلاة لا يصليها أحدٌ من أهل الكتاب، وفيها مدحٌ لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب...»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٤].

أي: «الذين يبيتون لربهم يصلون له، ويراوحون بين سجود في صلاتهم وقيام، وقالوا: من قرأ شيئًا من القرآن في صلاته وإن قلّ فقد بات ساجدًا وقائمًا»[(٢)].

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله: «ناقلًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «من صلّى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدًا وقائمًا»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الزمر:٩].

فمعناها: «أمّن هو يقنت آناء الليل ساجدًا طورًا، وقائمًا طورًا، ونصبت: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ على الحال من قانت»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٦].

يخاطب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم قائلًا: «ومن الليل فاسجد له في صلاتك، وسبحه أكثر الليل. وقد كان هذا أول شيءٍ فرضه الله؛ أي: الصلاة والتسبيح، ثم نسخ فرض قيام الليل وأصبح نافلة[(٥)].

ثانيًا: الثناء على الساجدين لله عند تلاوة القرآن:

وقد وردت في ثلاث آيات هي:

قال تعالى: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧].

يعني: «أن أهل العلم – من مؤمني أهل

(١) جامع البيان، الطبري ٥/ ٦٩٨.
(٢) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٤٩٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ٤٩.
(٤) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ١٧٦.
(٥) المصدر السابق ٢٣/ ٥٧٣.

الكتابين -إذا يتلى عليهم هذا القرآن؛ يخرون لأذقانهم سجدًا بالأرض تعظيمًا له وتكريمًا، وعلمًا منهم بأنه من عند الله»[1].

وقال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[مريم:٥٨].

يعني: «إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة ذكره، وحججه التي أنزلها الله عليهم في كتبهم، خرّوا سجدًا وهم باكون.

وفي إضافة الآيات إلى اسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ دلالة على أن من آياته رحمته بعباده، وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلى الحق»[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[السجدة: ١٥].

أي: «ما يصدّق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا ﴿خَرُّوا۟﴾ لله ﴿سُجَّدًا﴾ لوجوههم؛ تذللًا له، واستكانة لعظمته، وإقرارًا له بالعبودية»[3].

ثالثًا: الثناء على الساجدين لله عند الاستغفار من الذنب:

وقد وردت في آية واحدة هي:

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤].

يعني: «علم داوود عليه الصلاة والسلام أن الله ابتلاه ليختبره، فسأل ربه المغفرة، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ وخرّ ساجدًا لله، ﴿وَأَنَابَ﴾ وتاب من خطيئته، فغفر له ذنبه»[4].

رابعًا: الثناء على الساجدين لله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

وردت في آية واحدة هي:

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

أخبر الله سبحانه عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم «ركعًا أحيانًا لله، سجدًا له أحيانًا، وهذا دليلٌ على كثرة صلاتهم، ومداومتهم عليها؛ والتي من أجلّ أركانها الركوع والسجود»[5].

(١) المصدر السابق ١٥/ ١٢٠.
(٢) المصدر السابق ١٥/ ٥٦٦.
(٣) المصدر السابق ١٨/ ٦٠٧.
(٤) المصدر السابق ٢٠/ ٦٣.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦/ ١٩٣.

بشارة الله للمؤمنين الساجدين

لقد ذكر الله جلّ وعلا عباده المؤمنين بأنهم ساجدون له طواعيةً وعبادةً، طمعًا في المغفرة، وزيادةً في الإحسان، غير مستكبرين عن عبادة ربهم في الليل والنهار، مسبحين له في كل وقت، يخرون سجدًا باكين متذللين عند تلاوة آيات القرآن الكريم، يرجون رحمته ويخافون عذابه.

وسنرى هذه الصفات للساجدين واضحة جليّة في الموضعين التاليين:

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

لقد عدّ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية صفات للمؤمنين، فكانت صفة السجود السادسة من بين هذه الصفات التسع الآتية:

١. التائبون من الذنوب، الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات، طمعًا في المغفرة.
٢. العابدون لله تعالى، المتصفون بالعبودية لله، القائمون بفعل الواجبات والمستحبات في كل وقت.
٣. الحامدون لربهم في السراء والضراء، الشاكرون لله على نعمه الكثيرة، والمثنون عليها دومًا.
٤. السائحون، في عبادة الله، من صيامٍ، وطلب علمٍ، وجهادٍ، وحجٍ وعمرةٍ، وصلة أرحامٍ، ونحوها.
٥. الراكعون في صلاتهم له عزّ وجلّ، المكثرون منها.
٦. الساجدون في الصلاة لله تذللًا وقربةً.
٧. الآمرون بالمعروف، أي: الأمر بكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الواجبة والمستحبة.
٨. الناهون عن المنكر، أي: النهي عن كل ما نهى الله ورسوله عنه، من الأقوال والأفعال السيئة.
٩. الحافظون لشرع الله في جميع أقوالهم وتصرفاتهم الظاهرة والباطنة؛ إخلاصًا لله، وخوفًا من عذابه.

فمن اتصف بهذه الصفات فهو مؤمن ببشارة الله له، وقد جمعت هذه الصفات كل وجوه العبادة والخير والسعادة في الدارين.

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: «لم يذكر الله ما يبشرهم به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن. أما مقدارها وصفتها؛ فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيمانهم (قوةً، وضعفًا)، وعملًا

بمقتضاه»[1].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣ و١١٤].

فقد وصف الله الساجدين في هاتين الآيتين بست صفاتٍ هي:

١. الإيمان بالله واليوم الآخر: وهذا وإن تأخر حتى صدر الآية الثانية، لكنه الأصل في قبول العمل، فإن الحساب يكون يوم القيامة على أساس الاعتقاد.
٢. يتلون القرآن الكريم في صلواتهم: وبالأخص في صلاة العشاء ؛ التي انفردت بها أمة الإسلام عن غيرها من الأمم.
٣. ساجدون لله: يؤدون صلاتهم، وهم ساجدون لله فيها تقربًا وطاعةً.
٤. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: يقولون ويفعلون كل ما يحبه الله ورسوله، ويتركون كل ما يبغضه الله ورسوله.
٥. يسارعون في الخيرات: حتى لا يصرفهم صارفٌ عن فعلها، وهذا كناية عن مبادرتهم في فعل الخير، ومسابقتهم في الخيرات.
٦. وصفهم الله بأنهم من الصالحين: وهذه تشمل الصفات الستة مما يتحلى بها المتقون الصالحون، المستحقون لهذا الوصف من رب العزة والجلال[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٣٥٣.

(٢) انظر: المصدر السابق.

أصناف الساجدين وطبيعة سجودهم

تحدث القرآن الكريم عن أصناف من الساجدين.

نتحدث عنهم في النقاط الآتية:

أولًا: الساجدون لله تعالى وحده:

١. المخلوقات الساجدة لله تعالى طواعية وعبادة.

أولًا: سجود المؤمنين:

قال تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

قصد بهذه الآية: «جماعة القوم الراكعين والساجدين في البيت الحرام لله تعالى»(١).

«وقدّم الطواف في الآية لاختصاصه بالمسجد الحرام، ثم الاعتكاف؛ لأنه من شرط المسجد مطلقًا، ثم الصلاة؛ لأن القيام والركوع والسجود هيئة المصلي، مع أنها الأفضل لهذا المعنى»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

«قرن الله الطواف بالصلاة لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت، فالطواف عنده، والصلاة إليه في أغلب الأحوال»(٣).

وقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقد وردت عدة أقوال في المراد بالسجود هنا:

«تلاوة القرآن في صلاة العشاء ؛ لأنها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب، فوصف الله جلّ ثناؤه أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله، وهذا الذي رجحه الإمام الطبري رحمه الله.

ونقل عن الفراء رحمه الله: أن معنى السجود في هذه الآية، اسم للصلاة لا للسجود؛ لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع، فكأن معنى الكلام كان عنده: يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم - يقصد: بإقامة صلاة العشاء-.

وقد ردّ على الفرّاء بأن المعنى ليس ما ذهب إليه؛ وإنما معنى الكلام: «من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم، وهم مع ذلك يسجدون فيها، فالسجود هنا هو السجود المعروف بالصلاة»(٤).

(١) جامع البيان، الطبري ٢١/ ٣٢١-٣٢٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٧٩٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٢٦٢.
(٤) جامع البيان، الطبري ٥/ ٦٩٨.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «هي الصلاة بين المغرب والعشاء»[١].

وقال الشيخ ابن السعدي رحمه الله: «هذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاواتهم لكتاب الله ، وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له سبحانه وتعالى»[٢].

ولعل هذا الرأي الأخير أشمل وأقرب إلى ظاهر نص الآية التي تفيد العموم لكل صلاة تكون في الليل، من الصلاة النافلة (بين العشائين)، أو صلاة الفرض (العشاء)، أو قيام الليل (التهجد).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ﴾[النساء: ١٠٢].

هذا يكون في تعليم صلاة الخوف أثناء الجهاد في سبيل الله تعالى، «والضمير في: ﴿سَجَدُوا﴾ يعود للطائفة المصلية، والمعنى: فإذا سجدوا معك الركعة الأولى فلينصرفوا»[٣].

وقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[التوبة:١١٢].

«أي: المكثرون من الصلاة المشتملة على الركوع والسجود»[٤]،

وقال ابن عطية رحمه الله: «هم المصلون الصلوات الخمس، ويدخل في وصف ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ الذي يكثر من النوافل أيضًا»[٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[الفرقان:٦٤].

يقول تعالى ذكره بأن من صفات المؤمنين أنهم: «يبيتون لربهم يصلون لله، يراوحون بين سجود في صلاتهم وقيام»[٦].

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «يكثرون من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم، متذللين له ، والبيتوته هي: خلاف الظلول، بأن يدركك الليل نمت أو لم تنم. وقالوا: من قرأ شيئًا من القرآن في صلاته وإن قلّ فقد بات ساجدًا وقائمًا»[٧].

وقال ابن عباس: «من صلّى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدًا وقائمًا»[٨].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾[الزمر: ٩].

يعني: «أن المؤمن مطيع لله، يقنت آناء

(١) تفسير سفيان الثوري ص٧٩.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص١٤٤.
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ١٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٣٥٣.
(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٤١٩.
(٦) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٤٩٥.
(٧) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٨٦.
(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ٤٩.

الليل ساجدًا طورًا، وقائمًا طورًا، خوفًا من عذاب اليوم الآخر»[1].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[الفتح:٢٩].

يعني: أن أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، تراهم ركعًا وسجدًا لله في صلاتهم[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[السجدة:١٥].

أي: «أن المؤمنين بآيات الله تعالى إذا وعظوا بها لا يستكبرون عن السجود والتسبيح لله، ويخرون ساجدين له ، غير مستنكفين عن التذلل لربهم»[3].

ثانيًا: سجود سحرة فرعون:

قال الله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[الأعراف:١٢٠].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «وألقي السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله في معجزته لموسى عليه الصلاة والسلام، ساقطين على وجوههم، سجدًا لربهم قائلين: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:١٢١].

أي: صدقنا بما جاءنا به، ﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[الأعراف: ١٢٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: لما رأت السحرة ما رأت، عرفت أن ذلك أمر السماء وليس بسحرٍ، فخروا سجدًا لله، وقالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[الأعراف:١٢١-١٢٢][4].

وزاد صاحب الكشاف قائلًا: «وخروا سجدًا كأنما ألقاهم ملقٍ لشدة خرورهم، وقيل: لم يتمالكوا ما رأوا فكأنهم ألقوا.

وعن قتادة رحمه الله: «كان السحرة أول النهار كفارًا سحرة، وفي آخره شهداء بررة»[5].

وقال عزّ وجلّ: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[طه:٧٠].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «وفي هذا الكلام متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عليه، وهو: فألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا، فألقي السحرة سجدًا، وقالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[طه:٧٠].

وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحوّل ثعبانًا، فالتهم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصي، ثم جاء إليها فقبض عليها، فإذا هي عصا، فخرّ السحرة سجدًا»[6].

وقال سبحانه: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[الشعراء:٤٦].

(١) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ١٧٦.
(٢) انظر: المصدر السابق ٢١/ ٣٢١-٣٢٦.
(٣) المصدر السابق ١٨/ ٦٠٧.
(٤) المصدر السابق ١٠/ ٣٦١.
(٥) الكشاف، الزمخشري ٣/ ٣٧٩.
(٦) جامع البيان، الطبري ١٦/ ١١٣.

«فألقى موسى عصاه حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥].

فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذي لا حقيقة له، وإنما هو مخاييل وخدعة، وتبين للسحرة أن الذي جاءهم به موسى حقٌّ لا سحرٌ.

وعن عكرمة رحمه الله تعالى، أن الفرق بين الإلقاءين هو لما خروا سجدًا، أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة»[(١)].

ثالثًا: سجود الملائكة:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[الأعراف:٢٠٦].

وتعتبر هذه الآية أول سجدة تلاوة في القرآن الكريم بالإجماع[(٢)].

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾، أي: «لا تستكثر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك، واذكره إذا قريء القرآن تضرعًا وخفية ودون الجهر من القول، فإن الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع والتخشّع له سبحانه وتعالى.

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾، يعني: يعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم، ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾، ولله يصلون، وهو سجودهم ، فصلوا أنتم أيضًا- أيها المؤمنون- له وعظموه بالعبادة كما يفعله من عنده من الملائكة. وهذا تعريض بمن سواهم من المكلفين»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص:٧٣].

لما خلق الله عزّ وجلّ أبو البشر آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه من روحه، امتثلت الملائكة كلهم أمر الله بالسجود له، منفذين لأمر الله تعالى، إلا إبليس لم يسجد تكبرًا وحسدًا، وأكّد الله سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام بمؤكّدين اثنين (كلهم، أجمعون)؛ لقطع أي احتمال أو شك[(٤)].

رابعًا: سجود المخلوقات عامة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[الرعد:١٥].

ومعنى ذلك: فإن امتنع هؤلاء -المشركون- من إفراد الطاعة وإخلاص العبادة لله، فلله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام طوعًا بلا خوفٍ، ومن في الأرض من المؤمنين به طوعًا، أما المنافقون فيسجدون كرهًا.

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: كان

(١) الكشاف، الزمخشري ٣/ ٦٦١.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٣٤٣.
(٣) الكشاف، الزمخشري ٣/ ٤٠١.
(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٠/ ٨٢-٨٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٤/ ١٤٨. وعلى هذا التفسير تندرج كل آيات سجود الملائكة الواردة في سورة الأعراف: ٢٠٦، والرعد:٣٠، والإسراء:٦١، والكهف:٥٠ وغيرها.

الربيع بن خثيم (أبو يزيد الثوري الكوفي) رحمه الله، إذا تلا هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[الرعد:١٥].

قال: بلى يا رباه، أو طوعًا ربنا، بلى طوعًا[١].

وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى، قال: «يسجد من في السموات طوعًا، ومن في الأرض طوعًا وكرهًا»[٢].

وقال عزّ شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾[النحل:٤٨].

يقول الإمام الطبري نقلًا عن ابن جريج رحمهما الله، في قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾، قال: « فإذا فاءت الظلال - ظلال كل شيءٍ- بالغدو سجدت لله، وإذا فاءت بالعشي سجدت لله.

وقال الضحاك رحمه الله: تسجد الظلال لله غدوة إلى أن يفيء الظل، ثم تسجد لله تعالى إلى الليل...

وقال آخرون: بل الذي وصف الله بالسجود في هذه الآية ظلال الأشياء، فإنما يسجد ظلالها دون التي لها الظلال.

ورجح الإمام الطبري رحمه الله قول من قال: «إن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب، ومن ناحية إلى ناحية، كما قال به ابن عباس رضي الله عنهما، ويقال في اللغة: سجدت النخلة، إذا مالت. وسجد البعير، وأسجد، إذا ميّل للركوب»[٣].

وزاد ابن كثير رحمه الله: «أنزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم»[٤].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[النحل:٤٩].

معنى الآية: «ولله يخضع ويخشع ويستسلم لأمره ما في السموات وما في الأرض من دابة تدبّ عليها، والملائكة التي في السموات، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة، والذين لا يؤمنون بالآخرة، قلوبهم منكرة، وهم لا يستكبرون، وظلالهم تتفيأ عن اليمين والشمائل سجدًا لله، وهم داخرون.

وكان بعض نحويي البصرة يقول: اجتزئ بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع، وعليه فإن معنى الكلام: ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من الدواب والملائكة، كما يقال: ما أتاني من رجلٍ، بمعنى: ما أتاني من رجالٍ»[٥].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ

(١) جامع البيان، الطبري ١٣/ ٤٩١.
(٢) تفسير الحسن البصري ٢/ ٧١.
(٣) جامع البيان، الطبري ١٣/ ٢٤٠-٢٤٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٦٨١.
(٥) جامع البيان، الطبري ١٤/ ٢٤٥.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[الحج:١٨].

يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ألم تر يا محمد بقلبك وعقلك، فتعلم أن الله يسجد له ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة، ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الخلق، من الجنّ والإنس وغيرهما، ﴿وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ في السماء، ﴿وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ في الأرض، وسجود ذلك ظلاله حين تطلع الشمس، وحين تزول، إذا تحول ظلّ كل شيءٍ فهو سجوده، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ أي: ويسجد كثير من بني آدم، وهم: المؤمنون بالله، يسجدون لله سجود طاعة وعبادة، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي: وكثيرٌ أبى السجود فلم يوفقه الله للإيمان؛ فاستحق العذاب بذلك.

وعن أبي العالية الرياحي رحمه الله، قال: «ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدًا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه.

وقيل سجودها: بمعنى الطاعة، فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله، يسبح له»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦].

أي: «ما قام على ساقٍ- كالشجر ونحوه- وما لم يقم على ساقٍ -مما ينبت من الأرض- يسجدان ، وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له ، وأنهما لا يمتنعان تشبيهًا بالساجدين المكلفين في انقياده، وقيل سجودهما: سجود ظلهما»[(٢)].

وقال مجاهد رحمه الله: «النجم هو الكوكب، وسجوده طلوعه»[(٣)].

خامسًا: سجود الأنبياء:

قال تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾[مريم:٥٨].

أخبر الله في هذه الآية: «إذا تليت على هؤلاء الأنبياء الذين أنعم الله عليهم آيات الله خروا لله سجدًا، استكانة له، وتذللًا وخشوعًا لأمره وانقيادًا له، وهم باكون»[(٤)].

«و﴿سُجَّدٗا﴾: جمع ساجد، وتعرب حالًا. ﴿وَبُكِيّٗا﴾: جمع باكٍ، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا»[(٥)].

«وأجمع العلماء على شرعية السجود هنا اقتداءً بالأنبياء، واتباعًا لمنوالهم»[(٦)].

و قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

(١) المصدر السابق ١٦/ ٤٨٧.

(٢) المصدر السابق ٢٢/ ١٧٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢١٣.
(٤) جامع البيان، الطبري ١٥/ ٥٦٦.
(٥) مختصر تفسير البغوي ٢/ ٥٦٠.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ١٥٦.

[الشعراء:٢١٩].

يعني: «أن الله يرى تقلبك في صلاتك حين تقوم، ثمّ حين تركع، وحين تسجد، وقال آخرون: يرى تصرفك في أحوالك، كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «خرّ داوود ساجدًا؛ شكرًا لله تعالى، وقال في سجدة (ص): ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها»[(٢)].

سادسًا: سجود أهل الكتاب:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣].

قال ابن مسعود في تفسير هذه الآية: «لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم - بأداء صلاة العشاء - أي: يصلونها ولا يصليها من سواهم من أهل الكتاب»[(٣)].

وقال سفيان الثوري: «المقصود هنا الصلاة بين المغرب والعشاء»[(٤)].

ويفسر الشيخ ابن السعدي قوله تعالى: «﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، بأن هذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب الله وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له»[(٥)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[الإسراء:١٠٧].

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: «قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء:٩٠].

آمنوا بهذا القرآن أو لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله، ولا تركككم الإيمان به ينقص ذلك، وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون- تعظيمًا له، وتكريمًا، وعلمًا منهم بأنه من عند الله- لأذقانهم سجدًا بالأرض»[(٦)].

وقد اختلف أهل التفسير في معنى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يخرون للوجوه سجدًا»[(٧)].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «عني بذلك اللحى»[(٨)].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ٩٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٨.
(٣) جامع البيان، الطبري ٥/ ٦٩٨.
(٤) تفسير سفيان الثوري ص٧٩.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٦٨.
(٦) جامع البيان، الطبري ١٥/ ١٢٠.
(٧) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٦٨.
(٨) تفسير الحسن البصري، ٢/ ١٠٧.

وهذا هو الذي رجحه الإمام الطبري رحمه الله؛ لأن الذقن في كلام العرب هو مجمع اللحيين، وهذا هو الأشبه بظاهر التنزيل، أي: خروا للأذقان سجدًا عند سماعهم القرآن يتلى عليهم، تنزيهًا لربنا وتبرئةً له مما يضيف إليه المشركون به»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

أي: «يخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يتلى عليهم القرآن؛ لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر ﴿خُشُوعًا﴾، يعني: خضوعًا لأمر الله وطاعته، واستكانة له.

ويقول الإمام الطبري رحمه الله في موضع آخر نقلًا عن ابن زيد: بأن هذه الآية جواب وتفسير للآية التي في سورة مريم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]»[(٢)].

وقال الزمخشري رحمه الله: «خرورهم في حال كونهم ساجدين، وخرورهم في حال كونهم باكين»[(٣)].

واستخلص البغوي من هذه الآية: «أن البكاء مستحب عند قراءة القرآن»[(٤)].

(١) جامع البيان، الطبري ١٥/ ١٢٠.
(٢) جامع البيان، الطبري ١٥/ ١٢٢.
(٣) الكشاف، الزمخشري ص٦١١.
(٤) مختصر تفسير البغوي ١/ ٥٢٨.

٢. المخلوقات التي أمرت بالسجود لله وحده.

أولًا: أمر الله لبني إسرائيل بالسجود له:

قال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف: ١٦١].

هذه الآيات الثلاث: أمر الله بني إسرائيل بأن يدخلوا الباب في بيت المقدس سجدًا شاكرين ومتواضعين لله، فلم يسجدوا، ودخلوا على أدبارهم على غير الجهة التي أمروا أن يدخلوا بها[(٥)].

وقال تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

«أمر الله مريم ابنة عمران عليها السلام بأن تصلي له، وعبّر عن ذلك بذكر القنوت والسجود، فهما من هيئات الصلاة وأركانها، ثم أمرها بأن تكون مع جماعة المصلين لله تعالى، ففعلت ما أمرت به»[(٦)].

ثانيًا: أمر الله لعبدة الكواكب بالسجود له.

وقال تعالى: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي

(٥) انظر جامع البيان، الطبري ١/ ٧١٢-٧١٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/ ٢٧٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ١٣٤.
(٦) جامع البيان، الطبري ٥/ ٤٠٠.

﴿خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية، أي: «لا تشركوا به، فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يسجد بآخر الآيتين من (حم السجدة)، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يسجد بالأولى منهما»[(١)].

وإنما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، بصيغة التأنيث؛ لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على التغليب للمذكر على المؤنث[(٢)].

ثالثًا: أمر الله لرسوله بالسجود له:

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٩٨].

يخاطب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم: «بأن يفزع إليه فيما يصيبه من أمر يكرهه، يسبح الله ويكثر من السجود له سبحانه، فيكفيه ما أهمه»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٦].

يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم: «ومن الليل فاسجد له وسبحه أكثر الليل، وقد كان هذا أول شيءٍ فرضه الله، ثم جعل سبحانه قيام الليل نافلةً، ومن تفيد هنا التبعيض»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق:١٩].

«لا تطع - يا محمد صلى الله عليه وسلم- أبا جهل في ترك الصلاة والسجود لربك عند الكعبة المشرفة، بل ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾، اسجد لربك وتقرّب إليه بالطاعة، ولن يقدر أبو جهل على إيذائك، والله مانعه من ذلك»[(٥)].

وقد أمر الله هنا نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَٱسْجُدْ﴾ ولم يقل: (وصلّ)؛ لأن السجود من أهم أركان الصلاة، ويكون العبد فيه أقرب إلى ربه، كما ورد في الحديث: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)[(٦)].

رابعًا: أمر الله لعامة خلقه بالسجود له:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠].

«الخطاب لكل مشرك بأن يجعلوا سجودهم خالصًا لله عزّ وجلّ، والذي من أسمائه وصفاته الحسنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، فأنكروا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٤٣٦.
(٢) مختصر تفسير البغوي ٢/ ٨٣٠.
(٣) جامع البيان، الطبري ١٣/ ١٥٤.
(٤) المصدر السابق ٢٣/ ٥٧٣.
(٥) المصدر السابق ٢٤/ ٥٤٠.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم ٢١٥.

ذلك الاسم أن يكون لله تعالى!»[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم:٦٢].

أي: «أيها الناس اسجدوا لله في صلاتكم دون سواه من الآلهة والأنداد، وأخلصوا له العبادة والسجود»[2].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «الأمر بالسجود لله خصوصًا، ليدل ذلك على فضله، وأنه سرّ العبادة ولبّها، فإن لبّها الخشوع لله، والخضوع له. والسجود: أعظم حالة يخضع بها العبد بقلبه وبدنه، جاعلًا أشرف أعضائه على الأرض»[3].

٢. المخلوقات التي أمرت بالسجود من الله لغيره.

وقد وقع ذلك مع صنف واحد:

ولا نجد ذلك إلا في قصة خلق آدم عليه الصلاة والسلام، إذ أمر الله ملائكته بالسجود له، سجود تحية وتكريم لهذا المخلوق الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه علومًا تفوق بها على الملائكة، وقد ذكر ذلك في تسعة مواضع، منها:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف:٥٠].

ثانيًا: الساجدون لغير الله تعالى:

ورد ذكر الساجدين لغير الله تعالى في ثلاثة مواضع، اثنان جائزان، والثالث شرك، وهي على النحو الآتي:

١. سجود إخوة يوسف وأبويه له.

قال يوسف عليه السلام: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤].

رؤيا الأنبياء وحيٌ من الله تعالى، ورؤيا المؤمن صادقة بعد ختم الرسل، وانقطاع الوحي، والرؤيا هنا رمزية، حيث رمز بالشمس والقمر لأبويه، وبالكواكب الأحد عشر لإخوته، وقد عبّر الله عن الكواكب والشمس والقمر بجمع المذكر السالم؛ لأن السجود من أفعال العقلاء.

«وكان السجود في عصرهم جاريًا مجري التحية والتكرمة، كالقيام والمصافحة، وتقبيل اليد ونحو ذلك، مما جرت عليه عادة الناس لمن اشتهر بالتعظيم والتوقير.

وقيل: ما كانت إلا انحناء دون تعفير للجباه، لأن سجودهم يأباه يوسف عليه

(١) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٨٢.
(٢) المصدر السابق ٢٢/ ١٠٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٨٢٣.

الصلاة والسلام.

وقيل: خروا لأجل يوسف شكرًا لله على ما اجتباه به، واتمام نعمته عليه بالعلم والحكمة والتمكين في الأرض»[1].

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[يوسف:١٠٠].

قال قتادة رحمه الله تعالى: «خرّ يعقوب عليه الصلاة والسلام وزوجه وولده ليوسف عليه الصلاة والسلام سجود تحية كانت معروفة في زمنهم، يحيي بعضهم بعضًا بها، احترامًا وتوقيرًا.

ولكن الله أبدل هذه الأمة الإسلامية بتحية أهل الجنة «السلام» كرامة من الله تبارك وتعالى، عجّلها لهم في الدنيا نعمة منه وفضلًا»[2].

٢. سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر أنها بأمر الله تعالى، على سبيل التحية والتكريم، وهي امتثالٌ لأمر الله جلّ جلاله، فسجدوا طاعة لله وتنفيذًا لأمره.

٣. سجود عبدة الكواكب لها.

وهو سجود شركي محرم.

قال هدهد سليمان: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[النمل:٢٤].

يقول الهدهد مخبرًا سليمان عليه الصلاة والسلام: «وجدت هذه المرأة ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس؛ فيعبدونها من دون الله، بتزيين الشيطان لهم عبادة الشمس وسجودهم لها»[3].

ونقل ابن عطية قول زيد وابن إسحاق رحمهم الله: بأن قول الله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾[النمل:٢٥-٢٦].

هو من كلام الهدهد موضحًا وحاثًّا لهم بالسجود لله الخالق لكل شيء، ورب العرش العظيم.

ويحتمل أن يكون هذا من كلام سليمان عليه الصلاة والسلام لما أخبره الهدهد عن القوم[4].

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[فصلت:٣٧].

«يخاطب الله سبحانه الناس ناهيًا لهم عن عبادة الكواكب عمومًا، وعن الشمس والقمر خصوصًا، فهما يجريان في الفلك بمنافعكم؛ بإجراء الله إياها لكم، طائعين له في جريهما ومسيرهما...، فالله هو خالق

(١) جامع البيان، الطبري ١٣/ ١٠-١٣.
(٢) المصدر السابق ١٣/ ٣٥٤-٣٥٦.
(٣) المصدر السابق ١٨/ ٤٠.
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٦/ ٥٣١-٥٣٤.

الليل والنهار والشمس والقمر، وهذه من مخلوقات الله تعالى، بينما الخالق هو الأحق بالعبادة ، وكانت الصابئة تزعم أنهم يقصدون بسجودهم للكواكب - ومنها الشمس والقمر- أنهم يسجدون لله؛ فنهوا عن هذه الواسطة، وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصًا؛ إن كانوا إياه يعبدون»[1].

ثمرات السجود

السجود لله عز وجل من أعظم العبادات وأجلها، وله ثمرات جليلة، منها:

أولًا: إظهار العبودية لله وطاعته:

يقرر الله عزّ وجلّ أن كل المخلوقات طائعة خاضعة له، ساجدة لخالقها طوعًا أو كرهًا.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[النحل:٤٩].

حتى ظلال المخلوقات تسجد لله تعالى، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[الرعد: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[النحل: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

وإذا أمعنا النظر في نتائج وثمرات السجود، نجد أن إظهار العبودية لله وطاعته تأتي في مقدمتها، ونرى ذلك جليًّا في ختم الآيات بقوله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[آل عمران: ١١٣] عبودية وطاعة لله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾

(١) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٤٣٦.

[الأعراف: ٢٠٦] عابدين وطائعين له.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ [الإسراء:٦١] طاعة وامتثالًا لأمر الله لهم بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام، ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧].

وقوله: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] أي: يخرون سجدًا باكين طائعين عابدين لله عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [طه: ٧٠] عابدين طائعين لما رأوا المعجزة التي أعطيت لموسى عليه الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤] يقومون الليل عبادة وطاعة لله.

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥] لا يستكبرون عن السجود طاعة له سبحانه.

وقوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ترى محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، راكعين ساجدين طاعة لله تعالى، لذا أمر الله عباده المؤمنين وغيرهم بالطاعة والسجود له، فقال: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم:٦٢].

وقوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤] لمعرفة داوود عليه الصلاة والسلام، أن السجود قربة لله استغفر ربه من ذنبه، ثم سجد له عبودية وطاعة وطمعًا بالمغفرة، فاستجاب الله له وغفر له ذنبه.

وقد اعتبر سبحانه أن بيات المؤمنين لربهم سجدًا وقيامًا جعلتهم يدخلون تحت وصف عباد الرحمن، فأضافهم لنفسه، تشريفًا لهم وتكريمًا.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].

بما سبق يتبين أن السجود هو خضوع لله، وطاعة له، وعبودية وتذلّل للخالق جلّ وعلا.

ثانيًا: نيل رضوان الله وثنائه عليهم ومغفرته لهم:

من ثمرات السجود لله تعالى: أن العبد يكسب عدة أمور أوجزها بالآتي:

١. المغفرة من الذنوب والزيادة في الإحسان.

كما قال تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

فجعل سبحانه وتعالى المغفرة وزيادة الإحسان إليهم جزاءً ونتيجةً لطاعتهم لله بدخول بيت المقدس سجدًا، ونرى ذلك

أيضًا في قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[ص: ٢٥].

فكان نتيجة استغفار داوود عليه الصلاة والسلام من الذنب، وسجوده لله، -كما ورد في الآية٢٤ التي قبل هذه الآية- أن غفر له ذنبه، ورفعه منزلة عالية، وقربه منه، وجعل رجوعه عن الذنب حسنًا، فضلًا منه وكرمًا.

البشارة بفضل الله ورضوانه: كما جاء في ختم هذه الآية: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ١١٢].

وبشارة الله تكون برضاه عنهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والبشارة في الجنة، لمن اتصفوا بهذه الصفات، ونجد ذلك الفضل والرضوان مطلبًا رئيسًا من مطالب الرّكّع السجود من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لدخول الجنة، كما في هذه الآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

٢. الوصف بأنهم من الصالحين.

وقد جاء هذا الوصف لهم في هاتين الآيتين: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران: ١١٣-١١٤].

٣. المسارعة بالسجود عند تلاوة القرآن عليهم.

وهذا ورد في قول الله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء:١٠٧].

أي: يسارعون إلى السجود لله عند تلاوة آياته.

٤. نيل الفلاح في الدارين.

وهذا ما وعد الله عباده الساجدين العابدين له.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

ووعد الله نافذٌ لا محالة؛ بأنهم سيكونون يوم القيامة من المفلحين، الفائزين بجنات النعيم.

ثالثًا: ظهور السيما على وجوه الساجدين:

لقد وردت لفظة: (السيما) بأنها علامة ظاهرة على وجوه أمة خاتم الأنبياء والمرسلين؛ تمييزًا لهم عن بقية الأمم.

تعريف(السيما): هي بياضٌ ونورٌ ظاهر في جبهة السّجّاد يوم القيامة، وسمتٌ حسنٌ وصلاحٌ وخشوعٌ وتواضعٌ تظهر على

وجوههم في الدنيا، من أثر سجودهم لله.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

«المراد بها : السمة التي تحدث في جبهة السّجّاد من كثرة السجود، أي: من التأثير الذي يؤثّره السجود - في وجوههم-»[١].

و قد لخص ابن كثير رحمه الله تعالى أقوال أهل العلم في تفسير لفظة: (السيما) نذكرها كما يلي:

«قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: السمت الحسن.

وقال مجاهد، وسفيان الثوري، وغير واحد رحمهم الله: هي الخشوع والتواضع.

وقال السدي رحمه الله: الصلاة تحسن وجوههم. وبهذا أخذ الشيخ ابن السعدي رحمه الله، وبرّر أخذه بهذا التفسير: بأنه لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم.

وعن الحسن البصري رحمه الله: السيما مواضع السجود من وجوههم يكون أشد وجوههم بياضًا يوم القيامة. وقال بعض السلف رحمهم الله: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

وقال بعضهم: إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وسعةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الناس»[٢].

وزاد الطبري رحمه الله معاني أخرى ، ومنها : قول الحسن بن علي رضي الله عنهما: بأنها الصفرة ؛ التي تظهر من سهر الليل. ولكنه- الطبري- رجح القول: بأنها ظهور آثار الإسلام عليهم في الدنيا، وبياض الوجوه من أثر السجود - في الآخرة-»[٣].

رابعًا: استحقاق جنات الخلد والنعيم:

ومن آخر ثمرات السجود لله تعالى، الفوز بالنعيم الدائم في جنات الخلد يوم القيامة، كما أرى في المقابل الجزاء والعقاب لمن رفض السجود لله عزّ وجلّ.

١. المغفرة والأجر العظيم للساجدين.

قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

فالأجر العظيم المذكور هو: مكافأة الله لهم بالنعيم الدائم في جنة الخلد.

٢. الفوز بالجنة دار الخلود.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾

(١) الكشاف، الزمخشري ص١٠٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٣٥.

(٣) جامع البيان، الطبري ٢١/ ٣٢١-٣٢٦.

[الزمر:٩].

ورجاء رحمة الله، هي: طلب الجنة التي فيها النعيم الدائم، والله لا يرد رجاء عبده المؤمن.

وفي قصة سجود السحرة وإيمانهم برسالة موسى عليه الصلاة والسلام، قام فرعون بتهديدهم بالتنكيل والعذاب، فلم يأبهوا لذلك طمعًا بما عند الله من النعيم المقيم، فكان جزاء الله لهم: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ﴾[طه:٧٦].

وفي سورة مريم رتّب الله سبحانه وتعالى الجزاء لمن خروا سجدًا وبكيًّا، ولكل من تاب وآمن وعمل صالحًا فلهم: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم:٦١].

جزاء من رفض السجود لله

وقد جاء هذا في صنفين اثنين:

الأول: إبليس؛ لرفضه أمر الله بالسجود لآدم: فكان جزاءه في أمرين اثنين:

١. دمغه بالكفر.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

وقول الله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [ص:٧٤].

٢. اللعن والطرد من رحمة الله.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر:٣٤-٣٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ [ص:٧٧].

الثاني: الكافرون الرافضون السجود لله.

فجازاهم الله بعدة أمور، هي:

١. قلوبهم قاسية.

فهم لا يتعظون بما يتلى عليهم من القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾[الانشقاق:٢١].

٢. الذلة والصغار يوم القيامة.

لأنهم دعوا للسجود لله، وهم في صحة وعافية طيلة حياتهم، فأبوا ذلك.

قال الله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣].

٣. فضحهم يوم القيامة أمام الخلائق.

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾[القلم: ٤٢].

وذلك بتيبس فقرات ظهورهم فلا يقدرون على السجود.

موضوعات ذات صلة:
آدم، الركوع، الصلاة، العبادة، الوجه